

الفنان الراحل

محمد حازم فتح الله
في ثنايا الوجدان

٢٠٢٢ - ١٩٤٤



في حضرة الفن الأصيل نلتقي لنحتفي بسيرة ومسيرة فنان استثنائي ترك إرثًا لا يُنسى وأثر في أجيال من المبدعين. في هذا المعرض المميز، نستحضر ذكريات الفنان الكبير الراحل الأستاذ الدكتور حازم فتح الله، رائد فناني الجرافيك وأحد أعمدة هذا الفن في مصر والعالم العربي.

إن هذا المعرض ليس مجرد احتفاء بأعمال فنية، بل هو مرآة تعكس روح إنسان عظيم سخّر حياته للإبداع والعطاء. أحب الفن فبذل له جهده وموهبته، حتى أصبح علامة فارقة في تاريخ فن الجرافيك.

أعماله، التي تزين جدران معرضه، هي شهادة على عبقريته وإبداعه. كل لوحة هي قصة تحكيها خطوطه وألوانه، وتكشف عن عمق رؤيته الفنية.

لقد كان الراحل العظيم أستاذًا لأجيال، معلّمي وأستاذي، وقد فقدت برحيله أبا روحياً ومرشدًا لي ولكثير من الفنانين. تجسدت في شخصيته قيم الإبداع والعطاء، فلم يكن فقط فنانًا أكاديميًا بل كان مثقفًا شاملًا أثرى الحياة الثقافية والفنية في مصر.

اليوم، ونحن نقف أمام أعماله، نتواصل مع عظمته ونتعلم من أعماله الدروس التي ستظل خالدة في ذاكرة كل من عرفه أو تأثر بفنه. إنه تكريم يليق برجل منحنا الكثير وترك لنا إرثًا يدوم عبر الزمن.

نشمن هذه اللفتة الكريمة لتكريم أحد أعلامنا الفنية، ونعبر عن امتناننا لكل من ساهم في تنظيم هذا الحدث الذي يليق بمكانة الفنان الأستاذ الدكتور حازم فتح الله. خالص التقدير لجهودكم جميعًا، وآمل أن يظل هذا الإرث الفني مصدر إلهام وإبداع لكل من يسير على درب الفن الأصيل.

د. / أحمد فؤاد هنو

وزير الثقافة



كان الأستاذ حازم فتح الله نموذجًا للمبدع الحقيقي المؤثر في محيطه الأكاديمي وصاحب البصمة الخاصة في تجربته لاسيما في فن الجرافيك الذي تخصص فيه.. مشوار من العطاء بدأه أستاذًا بكلية الفنون الجميلة جامعة حلوان، ثم عميدًا لكلية، ثم نائبًا لرئيس الجامعة.. وتلمذ على يديه أجيال من الفنانين..

كما أثرا الحركة التشكيلية برصيد من الأعمال التي عكست تفرد شخصيته، وتحمل المتلقي معها في رحلة من الرهافة والشاعرية والهدوء.. مشاهد التصويرية غاية في العذوبة والخيال، دراما يشعر معها الوجدان بألفة من نوع ما تدفعه لاستشراف هذا العالم بكل تفاصيله.

ا.د/ **وليد قانوش**

رئيس قطاع الفنون التشكيلية

يعد الفنان د. حازم فتح الله.. أحد الفنانين الكبار من جيل الستينيات في فن الجرافيك.. وهو صاحب السحر الرومانسي المفعم بقوة الحياة في الطبعة الفنية.. يمتزج بالتعبيرية والسيرالية والرمزية.. حصل على الدكتوراه من أورينو بإيطاليا بعنوان: «الطبعة الفنية كوسية اتصال في الكتاب المطبوع» حول ديوان «مسافر ليل» للشاعر صلاح عبد الصبور.. كانت بداية رحلته مع الإبداع حين نادته صاحبة الجلالة الصحافة.. وعمره ١٢ سنة والتقى بالكاتب علي أمين وبدأت رسومه في مجلة آخر ساعة وامتدت فيما بعد إلى روزاليوسف ودار الهلال.. وقد تعددت لقاءاتي به في حوارات نشرت حول تجربته الطويلة في الفن الصحفي.. والأعمال الجرافيكية.

رسام آخر ساعة..

ولد حازم فتح الله عام ١٩٤٤ لأسرة تنتمي للطبقة المتوسطة.. بحى شبرا هذا الحى العريق الذى تميز بطول تاريخه بمناخ يفيض بالحب والسماحة.. يتعايش فيه أبناؤه فى مودة.. مايمثل روح الشخصية المصرية.. ومن بداية الطفولة اتجه إلى الرسم ككل الأطفال فى تلك السن الصغيرة.. لكن كان وراء استمراره تشجيع زوج خالته المهندس المحب لمختلف الفنون.. كان دائم الحديث معه عن رموز الإبداع، وبدأ التعرف على أسماء مثل: يوسف كامل وأحمد صبرى وراغب عياد ومحمود سعيد ودافنشى وميكل أنجلو وغيرهم.. وذات يوم أهدها علبة فحم صفصاف وكانت هذه الهدية التى لاينساها.. بداية الطريق الحقيقي للتعلق بالرسم.

وفى المرحلة الإعدادية بدأ استمراره فى الرسم ومتابعته للصحف والمجلات مع مجلتي أطفال على بابا وكان يرسم فيها الرائد الحسين فوزى وسندباد لرسامها الأول بيكار.. وفى هذا الوقت ظهرت ميوله الأدبية والاتجاه للكتابة. عام ١٩٥٦ كتب الصحفي الكبير على أمين قصة ليلة القدر فى عموده «فكرة» فى جريدة الأخبار: فى قلب كل منا أمنية صغيرة تطارده فى حياته.. فما هي أمنيتك المكبوتة؟.. اكتب إليّ وسأحاول أن أحققها لك على شرط ألا تطلب مني تذكرة ذهاب وإياب إلى القمر..» وهنا اقتنع بالفكرة وكتب

خطاباً وأرسله لأمين قال فيه: «أمنيته وأتمنى تحقيقها .. أريد ان أكون فناناً و صحفياً وأن ألتقى بفنانى أخبار اليوم رجا وبيكار وأعرض عليكم إنتاجى الصحفي والفني .. ولست أطمح فى الصعود إلى القمر ولكن الصعود إلى الدور التاسع حيث مكتبك لألتقي بك .. وأضمن الرجوع مرة أخرى عن طريق المصعد».

وكانت النتيجة أن رد عليه بخطاب .. على المدرسة يدعو لمقابلته والتعرف على رسامي أخبار اليوم .. وهناك التقى به .. يقول « رأيت صاروخان يمثل فى المرآه وبيكار يدندن لعبد الوهاب وكنعان يجسد بنت البلد لآخر ساعة .. ورخا يرسم أعاجيبه فى الكاريكاتير .. وظهرت رسومي بآخر ساعة ومن بينها قصص البطولات المصرية فى حرب ١٩٥٦ واستمر ترددي على أخبار اليوم ..» وفى مدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا قوبل بتشجيع كبير من أساتذة التربية الفنية: الأستاذ أيوب بشاي خريج قسم الحفر بالفنون الجميلة الذى كان ينبهر برسومه والأستاذ محروس بسطا دفعة أستاذ الجرافيك: كمال أمين .. كان دائم الاهتمام به .. يطلعه على الأعمال المحفورة مثل الصور الشخصية المطبوعة من قالب نحاسى .. كل هذا مع موهبته دفعه للالتحاق بالفنون الجميلة .. التحق بها وعمره ١٧ سنة وكان يرسم صفحة كاريكاتير طوال فترة الدراسة .. بمجلة «الجيل» التى رأس تحريرها أنيس منصور.

مجلة صباح الخير..

بعد تخرجه من الفنون الجميلة عام ١٩٦٦ تم تعيينه معيذاً بها .. ومع دأبه الشديد فى الإبداع وتمرسه بالطبعة الفنية ظل على صلة كبيرة بصاحبة الجلالة فكان يرسم صفحة ملونة فى مجلة صباح الخير .. وأحياناً صفحتي الوسط مع رسومه بالأهرام الاقصادى .. وفى مجلة سمير قدم مساحة متميزة فى صحافة الطفل فهو صاحب شخصية «زيكو زكى» بوجهه المستدير ونظارته الدائرية السمكية وشعره الذى يشبه عُرف الديك .. وهى شخصية نالت شهرة كبيرة كما رسم الكابتن «هاموش» على غرار الكابتن «هادوك» للفنان «هيجيه» .. والذى كان قبلاً فى مجلة تان تان الفرنسية .. كما رسم

شهيره الصحفية الصغيرة ومشهور الذي كان يعمل مصوراً صحفياً.. ويسكن حي السيدة زينب والشخصيتان فكرة الفنان حجازي.

أوربينو وصلاح عبد الصبور..

سافر حازم فتح الله في بعثة إلى إيطاليا وفي أوربينو التحق بأقدم مدرسة في الطبعة الفنية في العالم.. ومازالت محافظة على مستواها.. تحمل اسم «المعهد الحكومي للفنون - مدرسة الكتاب» وهي التي تخرج منها الأساتذة الكبار: عبد الله جوهر وكمال أمين وحسين الجبالي... هناك حصل على مايعادل الدكتوراه في رسالة بعنوان: «الطبعة الفنية كوسيلة اتصال في الكتاب الموضوع حول» «مسافر ليل للشاعر صلاح عبد الصبور» وهو ديوان تضمن 17 قصيدة من بينها «أحلام الفارس القديم» و«يوميات الصوفي بشر الحافي» و«أغنية من فيينا» و«الأيام العلية» وغيرها.

وتمثل أعمال الفنان فتح الله عمومًا حالة تعبيرية شديدة الخصوصية في الطبعة الفنية أو فن الجرافيك.. من حيث تناول الأداء وهي تنتمي لعالم شاعري رومانسي يجسد روح الحياة في تعبيرية ربما ممزوجة بأطياف سيربالية في بعض الأحيان كما في لوحته «المرأة والحصان واللال النحيف».. تبدو واقفة في دثار لا يبدو منها سوى جزء من الجسد.. في حوار مع حصان يقف على ساقيه الخلفيتين.. وبين الخفوت والسطوع ينقلنا إلى تدرجات لونية من خلال هذا الترديد الهارموني.. من الأصفر والبرتقالي إلى البنفسجي في الأفق. وبين الذبول والانطفاء والتوهج والحيوية في لوحته «عناق» تقف فيها حواء العصر الحديث مع آدم في عناق محموم وسط طبيعة جرداء ذات أشجار تساقطت أوراقها.. وطيور في الأرضية التي تبدو في سطوح بمستويات أفقية.. تتحاور مع الرأسية المتمثل في الشجر والبشر.. في رمزية إلى محاولة الاحتماء من طبيعة جرداء وعالم يعانى القلق والتصحّر.

وأعماله مسكونة بسحر كوني تأخذنا إلى آفاق وتجليات من الهمس والسكون والقلق البشري.. وبين الإقامة الجبرية صور الإنسان في أعمال

عديدة أسيرًا مكبلاً فى اللفائف وفى أعمال أخرى تائهاً حائرًا محفوفًا بتلك العناصر التى تجسد روح الطبيعة من الجياد وطيور السلام وحتى الجوارح السوداء.. مع القمر بين الهلال النحيف والبدر المكتمل.. فى إيقاع يفيض بحس درامي وكأنه يعيد سيرة الحياة من بداية الخليقة.. والعجيب هذا السمو الإنساني الذى تفيض به أعماله فى مواقف تجسد عمق مشاعر البشر.. رغم القيود واللفائف.. هناك حلم ورغبة فى الخروج.. كما فى رمزية «الرجل والحصان» بين الثابت والمتحرك.. الرجل فى مقدمة اللوحة بين الشجر والزهور والحصان طائرًا فى الأفق فى معنى للسفر والرحيل إلى المدن التى لم يطأها بشر.. مدن جديدة من النقاء بلا تطاحن أو صراع. يقول: لا يستطيع الفنان فى تناوله ومعالجته الفنية أن يُسقط من حسابه الألم وأوهام النفس البشرية.. كما يحاول أن ينفذ قدر طاقته إلى أسرار هذا الكون.. وأن يصور المستتر خلف السطوح ويمزج الحلم بالواقع.

ود. حازم فتح الله شغل مناصب عديدة بما يجعله خبيراً بالعملية التعليمية فى التعليم الجامعي.. كان أستاذًا ووكيلًا للفنون الجميلة بالقاهرة وعميدًا لها كما شغل نائب رئيس جامعة حلوان.. ورئيس نادى أعضاء هيئة التدريس بجامعة حلوان.

سلامٌ عليه وتحية إلى روحه بعمق ما قدم من إبداع

أ. صلاح بيصار

ناقد وفنان تشكيلي

«محمد حازم فتح الله»: أستاذ ربيب أساتذة

تكونت معالم شخصية «محمد حازم فتح الله» (١٩٤٤ - ٢٠٢٢)، في ظل تقاليد عريقة، أرساها النظام الأكاديمي الراسخ لأول مدرسة عربية للفنون الجميلة. وفي ظل هذا النظام كان مفهوم (الأستاذية)، ذروة عُليا للكيان الأكاديمي، وقيمة اعتبارية رفيعة، تتحدّد بموجِبها مكانة (الأستاذ)، بِوَصِفِهِ مرجعية راسخة في تخصُّصه، ومصدراً موثوقاً به للمعرفة والرأي، وقبل كل ذلك، نموذجاً يُحتذى، على المستويين الإنساني والعلمي.

وعلى هَدي هذه التقاليد والتعاليم، تَلَقَّى «حازم» ميراثه الفنّي، على أيدي نخبة من الأساتذة الراسخين في الفن، المَشهود لهم بالكفاية والتمكّن، فكان أن تَشَرَّبَتْ موهبته، المُتَشَوِّفة للتَحَقُّق والتَفَتُّح، خُلاصة الرحيق من تجربة كل أستاذ منهم، لارتفاع المزيج تفاعلاً وتأييداً، على امتداد سنوات طوال من المكابدة والتواصل والتجريب، مُنتجاً في النهاية تركيبةً شديدة الخصوصية، استوفت مُقوّمات الأستاذية، بالقدر ذاته الذي استكملت فيه فعالم شخصيّة فنيّةٍ جديرة بالرصّد والتأريخ والتحليل.

كانت تركيبة «حازم فتح الله»، قد أفصحت منذ مرحلة مبكرة من مراحل عُمره، عن شَغَفٍ بالبحث عن نبراس هادٍ يُقتدي به، وطموح مُتأصل في صميم الشخصية، يتعجّل غضاظة العُمر ويسابقُ خطى الأيام، مُتطلّعا صوب أفق التَحَقُّق، ومُتلهِّفاً للبحث عن مكان بين صفوف الكبار.

لم يكن مُستغرباً إذن أن نراه، وهو لم يزل بعدُ في الثانية عشرة من عمره، كان يتابع مقالات العارم «علي أمين» (١٩١٤ - ١٩٧٦) بجريدة «أخبار اليوم»، لتُسفر المتابعة الشغوفة عن قرار بإرسال خطاب، فحواؤه أمنيةً بأن يكون صحفياً، على شاكلة «علي أمين» نفسه، ورساماً على نهج «صاروخان» (١٨٩٨ - ١٩٧٧)، و«رخا» (١٩١٠ - ١٩٨٩)، و«بيكار» (١٩١٣ - ٢٠٠٢). ولم يذُر بخلد الفتى الناشئ أن يستجيب «علي أمين» لطلبه، فيرسل له ردّاً على الخطاب، يدعوه فيه لمقابلته بمبنى «أخبار اليوم».

كان أثر هذا اللقاء هائلاً، بل كان له ما بعده؛ إذ لم يقتصر على شحنة الدعم

النفسي الهائل، التي كان لزامًا أن تنتشي بها نفس الفتى الناشئ؛ بل كانت بوابة الولوج إلى آفاق حلم العمل في الصحافة، لينخرط الفتى - وقد استوى شابًا بعد قرابة خمس سنوات - في مجال الرسم الصحفي، بدءًا من عام ١٩٦١، وهو لم يزل بعد طالبًا، لم يستكمل تعليمه الفني الأكاديمي.

وخلال مشواره الصحفي، شارك «حازم»، بالرسم والكتابة، بانتظام في صحف ومجلات «أخبار اليوم»، و«الأخبار»، و«الجيل»، و«آخر ساعة»، ونشرت رسومه بانتظام في مجلات «روز اليوسف»، و«صباح الخير»، و«الهلال»، ليتطور الأمر بإشرافه على الإخراج الفني للكثير من المطبوعات في مصر وبيروت، ولتنشر له كثرة من الرسوم والأغلفة لمجلات الأطفال الصادرة عن مؤسسة «دار الهلال».

ومن جانب آخر، كانت سنوات العمل في بلاط صاحبة الجلالة مرحلة تكوينية بعيدة الأثر، أسهمت في صقل الخبرة الحياتية للدارس الشاب، وإطلاعه على ثروة من المعارف والمواقف والأسرار، خلال احتكاكه بنخبة من أساطين الكتاب والفنانين، العاملين بالحقل الصحفي، فضلًا عن العشرات من نجوم المجتمع وأقطاب السياسة المصرية آنذاك، ممن أسهموا، بشخصهم وإبداعاتهم، في تشكيل الوعي العام، وتوجيه مسارات الحراك الاجتماعي المصري خلال عقد الستينيات.

في هذا الخضم الزاخر، توثقت صلاته بنجوم الصحافة، وانهقدت عُرى صداقاته بمشاهيرهم؛ «مصطفى أمين» (١٩١٤ - ١٩٩٧)، و«علي أمين»، و«كامل الشناوي» (١٩٠٨ - ١٩٦٥)، و«أنيس منصور» (١٩٢٤ - ٢٠١١)، و«موسى صبري» (١٩٢٥ - ١٩٩٢)، و«إسماعيل النقيب» (١٩٣٧ - ٢٠١٢)، وغيرهم من أصحاب الأسماء الرنانة في ميدان الصحافة المصرية.

ومن خلال هذا الاحتكاك، والمُعاشية للصيقة، اللذين استمرًا وتطورا في مراحل عُمرية تالية، تسنى لـ«حازم» أن يكون شاهدًا على عصرٍ بأكمله، وأن تتجمّع لديه ذخيرة نادرة من التجارب والذكريات والمواقف المعيشية، التي راكمها على امتداد قرابة نصف قرن، بصورة ندر أن نقع على نظير لها لدى أمثاله من الفنانين والأكاديميين.

مراحل المسيرة الفنية:

وكما انخرط «حازم» في المجال الصحفي مبكرًا، ليتمرّس بأسراره ويتمكّن ناصية أدواته، بدأت كذلك معالم شخصيته الفنية في التشكّل مبكرًا، متطورةً عبر ثلاثة مراحل أساسية، تعاقبت إحداها في إثر الأخرى، بسلاسة واسترسال منطقيّ، دون قفزات مفاجئة أو تحولات حادة. من هنا يمكن تصنيف «حازم» ضمن زُمره الفنانين الذين تتنامى تجاربهم تناميًا ذاتيًا داخليًا، عن طريق استمرار البحث والتجويد في عناصر التجربة ذاتها، بما يتسق مع التركيبة الذاتية لصاحب التجربة، وبما يتوافق مع قناعاته الفكرية. وتعدّ هذه الزُمره المُعادل المُكافئ لنمط آخر من الفنانين، تتسم تجاربهم بكثرة المنعطفات وتوالي المُرَاوَحَة بين الأساليب والأداءات.

في إطار هذا التسلسل المنطقي والتطوّر الهادئ، بدأت أولى المراحل الفنية لـ«حازم فتح الله» خلال مرحلة الدراسة ذاتها، وتحديدًا مع اقتراب هذه المرحلة من الانتهاء، خلال الإعداد لمشروع التخرج، وما تلاها من سنوات قلائل، عقب تخرّجه في قسم الحفر (الجرافيك حاليًا) بكلية الفنون الجميلة القاهرية عام ١٩٦٦، وتعيينه معيدًا بالكلية ذاتها.

كان «حازم» قد تلقى مرانته الأكاديمي، خلال تلك المرحلة، على أيدي نخبة من فناني مصر المعروفين آنذاك. غير أن أدائه لم يُظهر تأثيرًا بأسلوب أيّ منهم - خارج سياق التعاليم الأكاديمية الأساسية - بقدر ما تأثر بثلاثة من أساتذة قسم الحفر، كان كلُّ منهم علمًا من أعلام الجرافيك المصري، وهم: «الحسين فوزي» (١٩٠٥ - ١٩٩٩)، و«عبد الله جوهر» (١٩١٦ - ٢٠٠٦)، و«كمال أمين» (١٩٢٤ - ١٩٧٩).

وبرغم اختلاف أساليبهم الفنية، فقد توافقت الأساتذة الثلاثة في المُعطى الموضوعي لعوالمهم الفنية، في استرفاد الثقافة الشعبية المصرية، وإن اختلفوا أدائيًا، بما يناسب بصمة كلِّ منهم، على مستوى التركيبة النفسية والفكرية. وعلى هذا النحو، فُيِّضَ لـ«حازم» أن تتكشف أمام ناظره أسرار الجماليات البصرية لمصر الشعبية، وأن تتجلى صورها في طيفٍ رحب،

عكسَته جهود الأساتذة الثلاثة بتنوعِ خلاب، كان من شأنه أن يُثري مخيلة الفنان الشاب في أولى مراحلهِ، لِيُسِفِرَ عنه نفسه بوضوحٍ؛ في اختيارهِ الدالِّ لموضوع مشروع تخرُّجهِ، منتثياً «شارع محمد علي»، مسرِّحاً لأطروحةٍ بصرية، أودَعَهَا خلاصة ما وعاه من تعاليمٍ خلال مرحلته تلك.

«أورينو»:

وكما تبلورتِ المرحلة الأولى بتوَدَةٍ، في سياق بيئتها الحاضرة، بدأت معالم المرحلة الثانية تتفتح على أرض الحضارة الرومانية. فبعد مُضيِّ عشرة أعوام على تخرُّجهِ، واشتغاله بالتدريس ضمن زُمرة أساتذة كُليته الأم، ابتُغيت «حازم» إلى إيطاليا عام 1976، فُتَلِّمَسَا خُطى أستاذيه «عبد الله جوهر» و«كمال أمين»، اللذين سبقاه إلى النهل من المَعين الفني لأرض عصر النهضة.

وفي «مدرسة فنون الكتاب» بأورينو Scuola del Libro di Urbino – Liceo Artistico، بدأ «حازم» يروي شغفه للنهل من مَعين الفن الحديث من منابعه الأصلية، فالتحق ببرنامجٍ متخصصٍ لتطبيقات فنون الجرافيك المعاصرة، في «المعهد العالي للفنون» Istituto superiore per le industrie artistiche، المعروف اختصاراً باسم «إيزيا» بمدينة «أورينو» SIA Urbino، لدراسة «برنامج المستوى المتقدم لفن الجرافيك».

وفي «إيزيا»، انفتحت أبواب المرونة الرحبة على مصاريحها؛ إذ كان منهج الدراسة بهذا المعهد – ولا يزال – يتميز بتبني رؤيةٍ رحبة، تسمح بإمكانية التداخل والمزج بين طُرُق الأداء، بعضها وبعض، وكذا في أساليب التدريس ذاتها.

وإلى «إيزيا»، ومنهج المَرِن في التدريس والتطبيق، تعلم «حازم» كيفية الموازنة بين المقتضيات الجمالية للطبعة الفنية، ومتطلبات التصميم والإخراج في فنون الكتاب، وكذا كيفية المزج بين المجالين، والاستفادة من إمكانيات أحدهما لإثراء الآخر.

على هذا النحو، تشكَّلت أولى معالم المرحلة الفنية الثانية في مشوار

«حازم فتح الله»؛ إذ اكتشف في إيطاليا الفارق بين (الطباع) الحرفي، و(الفنان) المُعالج للطبعة الفنية. كما اكتشف ضرورة الموازنة بين هدف العمل وموضوعه وشحنه الوجدانية، وبين التقنية المختارة للتعبير عن كل ذلك بأيسر السُّبل، دونما حاجة للاستعراض المَهاري الفارغ من المضمون.

ثم كان أن انفتح أمام ناظرَي «حازم» بابٌ رُحِب، دَلَف منه لِيَجولَ في عوالم خيالية، تمتزجُ في ذروها هواجس النَّفسِ بتهويمات اللاوعي، وتجوس في فسائِها كائناتٌ انفَلَتَت من براثنِ العقل، لُتلقِي بظلالٍ من الشك على جدران الإدراك. تلك كانت عوالم الفنان الإيطالي «جورجيو دي كيريكو» - Gi- orgio de Chirico (1888 - 1978)، التي أَلقت على مفردات «حازم» شيئاً من المزاج الميتافيزيقي/ السريالي، وأخضبت مفرداته البصرية، جاذبة إياها من قبضة الأكاديمية إلى رُحابة الخيال.

وخلال تلك المرحلة - الثانية - بدت أعمال «حازم فتح الله» مُنتَشيةً بمزجها بين الألق الرومانسي للطبيعة - بمفهومٍ أقرب ما يكون شَبهاً ب(الواقعية السحرية) Magical realism - وبين الشجن الكامن لعطش الجسد البشري. ونتيجةً لهذا المزيج الرهيف، بدأت أعمال «حازم» تستحضر مَشاهدَ فُخاتلة؛ لا هي بالأرضية، ولا هي بالفضائية، تستحضر قُوى النَّفسِ العارمة، وتُجسِّدُها أفراساً بلا صهيل، وتُحطِّمُ الجدار القائم بين وعود المُتعة الحِسِّيَّة والانعتاق الروحي، لتتأرجح الأجساد العاشقة بين الشروع في اللقاء والإيدان بالفراق، أو تنطوي على أنفُسِها في استبطانٍ مأزوم.

وقد بلور «حازم» خلاصة هذه السمات، التي طرأت على أسلوبه خلال تلك المرحلة، ليصوغها في تجربةٍ جَمَعَت بين المَنحى التعبيري/ الرومانسي، والطرح الرمزي/ الميتافيزيقي، مُنْتَقِيًا لها تقنيات الحفر والطباعة اليدوية وسيطاً أدائياً، ليُخرج للنور كتاباً فنياً مطبوعاً، مكوناً من سبع عشرة طبعةً فنية، تُمَثِّلُ مُعادِلاتٍ بصرية لسبع عشرة قصيدة من قصائد الشاعر المصري (صلاح عبد الصبور) (1931 - 1981).

ويكشف هذا الاختيار عن ثاقبٍ وعيٍ «حازم»، وعن قدرته على انتقاء المُعادِل النَّصِّي المُكافئ لمتطلبات تجربته البصرية، وهو ما كان متوافراً

تماقًا في الأعمال التي انتقاها من أشعار «صلاح عبد الصبور»، والتي تمثّلت فيها خصائص عالم «عبد الصبور» الشعري، من حيث اختلاط الروح الصوفية المثالية بتهاويم العشق - بصوريّته: الحسيّة والروحية - فضلًا عن امتزاج الرمز العميق بجماليات السبك اللغوي الصّرف.

أتت التجربة تحت عنوان عام، هو «في الليل»، لتكون بمنزلة بحثٍ عمليّ لدرجة الدكتوراه، التقى في مَصَّبِهِ الرافدان الأساسيان لثقافة «حازم»: الرافد الأدبي النَّصي، والرافد الفني البصري.

وفي سياق هذه التجربة، بدأت مفرداتٌ بصريةٌ بعينها في التحاؤم، فُصِحَّةً عن إمكاناتٍ خصبة في طواعية المعالجة، والتحوير، والمزج، والاستكشاف؛ فبدأ الجسد البشري، في تجلّيه، الذكوري والأنثوي، نشوانًا آنا بمسرات العشق، ومأزماً آنا آخر بهواجسه الوجودية الباطنة.

المرحلة الثالثة (تنوع في الوسائط وحنينٌ للبساطة):

وخلال عام ١٩٩٧، بدأت معالمُ مرحلةٍ جديدةٍ في التّشكّل، فُصِحَّةً عن توجّه صوب الاختزال البصري، وتركيز على العناصر الجوهرية، مع الارتكاز على جماليات الخط، كقيمة مقصودة لذاتها.

كانت هذه المرحلة إذن - والتي استمرت أهم سماتها واضحة إلى وفاته - تطويراً للمرحلة السابقة (من داخلها)؛ فهي ليست انتقالاً جذرياً، للأسلوب والمفردات، من حالٍ إلى حال، كما يحدث لدى كثير من الفنانين، حين يهجرّون عالمًا إلى آخر جديد، بل هي بمنزلة إعادة ترتيب لأولويات المرحلة السابقة، وإعادة استكشاف إمكانياتها الأدائية.

وفضلاً عن هذا التّوجّه التّطوّري للأداء والمفردات، ظهر لدى «حازم» نزوعٌ نحو التنوع في الخامات والوسائط - وإن يكن تنوعًا فبرّزًا، ومسبقًا بتجارب سابقة لهذا التحول بسنوات - إذ نراه يعيد استكشاف الإمكانيات البصرية لعناصره الأثيرة، من خلال وسائط لونية، تنوعت لتجمع بين ألوان الجواش المخلوطة بزُلال البيض (التمبرا) Tempra، والألوان المائية، والألوان الزيتية، فضلًا عن ألوان الطباعة الملونة، التي ارتاد عالمها مُعالِجًا الوسيط الطباعي الخشبي المحفور حفرًا بارزًا.

وتتجلى قيمتي الاختزال والحضور الخطي في هذه المرحلة بوضوح؛ من خلال مجموعة من أعمال الحفر الغائر، التي نُفِّدَت خلال عام ٢٠٠٣، فأنت كأقرب ما يكون إلى مُتوالية طباعية، تتضمّن تنويعاتٍ بصرية على مفردتين أساسيتين، هما: الجسد البشري والحصان، مع استحضار أشكال الطيور واللال، كاختصاراتٍ رمزية، تستكمل الشحنة المَجازية للمُشاهد، وتستوفي مقتضيات البناء التكويني لها في آنٍ.

وقد ظهر في هذه المتوالية، على وجه الخصوص، التّضادّ القَصي الجَهير للأبيض والأسود؛ من خلال الاكتفاء بصياغة أجساد الشخوص، اعتمادًا على الخطوط الخارجية - التي بدت كثيفة ومتفاوتة السُمك، تبعًا لِمَوَاضِع الانثناء والتَنوُّع التشريحي لأعضاء الجسد - وذلك في مقابل التّكثيف الإعتامي التام لأجساد الخيول، التي بدا حضورها أقرب ما يكون شبه IW بالصُّور الظليّة المُختزلة Silhouette.

وبخلاف الأثر الجمالي، المُتخَصِّل من أثر اختزال التفاصيل، والتضادّ الظلي، والحضور الخطي القوي، فقد ظهر في هذه المُتوالية - بل وفي أغلب أعمال هذه المرحلة بِعاقبة - ميلًا نحو استحضار التكوينات القائمة على توليف الخطوط القوسية، وتحوُّر انحناءاتها المتألّفة، وهو ما عزّز الشحنة الوجدانية للعمل، متناسبًا مع طبيعة الموضوع المحوري لهذه الأعمال، والقائم على استجلاء مشاهد اللقاء بين العشاق تحت هدأة الليل.

وقد ظهر أثر هذه التكوينات القوسية اللينة - وإن يُكن ظهورًا مُوظَّفًا لصالح اللون - على أوضح ما يكون، في مجموعة من أعمال الرسم المُلوّن والتصوير، المُنفَّذة بوسائط لونية مُراوِحة بين الإعتام - كما في الجواش، والتمبرا، والألوان الزيتية - والشفافية - كما في الألوان المائية Aquarelle - والتي عمَد «حازم» من خلالها إلى استكشاف الإمكانيات التعبيرية لمُفرداته الأثيرة، حين تتهادى في عوالم لونية شفيفة، وعلى عكس الأعمال الطباعية الاختزالية لهذه المرحلة، يظهر في أغلب الأعمال المرسومة والمُصوَّرة اهتمامٌ محسوبٌ، بلا إسراف، بالتفاصيل والتجسيم، مع حضور حالمٍ لشفافية الأبيض، حين ينساب في غُلاتٍ تخامر زهوة اللون، فتُخفُّف من أثرها، وتُعلي

من تأثير الألق الضوئي المُستشري في نسيج الصورة. وفي إفصاح جهيرٍ عن ولعٍ بالتجريب واستقصاء إمكانات الوسيط اللوني، كان «حازم» يتجه في بعض هذه الأعمال إلى الدمج بين خامتين مُتعارضتي المِزاج؛ ليؤلّف بين شفافية الألوان المائية وإعتماد العجينة الزيتية، أو يُرسي صلحًا بين ألوان الجواش والألوان الزيتية.

وفي تجاربٍ لونيةٍ أخرى، نرى «حازمًا» وقد جمع بين سمات الاختزال البصري- التي تركزت بالأساس في أعماله الطباعية- وبين البحث التكويني ذي النكهة الحداثية؛ في أعمالٍ انشغل فيها بالبحث في جماليات الطبيعة الصامتة، وبخاصة تلك الجماليات التي تُتيحها تنويعات التكوين الناشي عن علاقة أواني الزهور بالفراغات المحيطة بها، لتأسيس أنساقٍ من توليفات المساحات المُصمتة، المتوازية والمتقاطعة والمُتماسكة، مُدشّنًا بذلك نوعًا من (التنّاص البصري) Visual Intertextuality مع عالم المصور الحفار الإيطالي «جيورجيو موراندي» (Giorgio Morandi 1890 - 1964).

وفي السياق اللونيّ نفسه، يكشف «حازم» عن سعةٍ في المُخيّلة، وقدرةٍ على اشتقاق التنويعات اللونية للتكوين الواحد، من خلال توليفاته المتعددة لمجاميع من الدرجات اللونية المختلفة، التي أمكّنه من خلالها إضفاء نكهةٍ من الطزاجة البصرية على العديد من أعماله الطباعية، المنفّذة بطريقة الطباعة البارزة الملونة.

وتكشف هذه الطواعية اللونية، على وجه التحديد، عن مدى الاحترافية الأدائية لدى الفنان، وعن قدرته على استدعاء الإحياءات الوجدانية والإيحاءات الذهنية، لمختلف الأنساق اللونية، لإثراء النتاج الطباعي، بيُسْرٍ وسلاسة، دونما حاجة للاستعراض التقني أو المزايدة الأدائية.

على هذا النحو، وَطّد «حازم فتح الله» أركان مكانته الفنية/ الأكاديمية، في مُعْتَرَك فن الجرافيك المصري المعاصر، حافظًا لنفسه مكانةً مرموقةً، بين قامات أساطينه راسخي القدم.

د. ياسر منجي

أكاديمي وناقد و مؤرخ فني

الفنان الراحل محمد حازم فتح الله (١٩٤٤ - ٢٠٢٢)

مواليد ١ يناير ١٩٤٤ القاهرة و توفي ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢.

بكالوريوس كلية الفنون الجميلة قسم الحفر جامعة حلوان ١٩٦٦، ماجستير فى الجرافيك ١٩٧٥، دكتوراه فى الجرافيك من أوربينو بإيطاليا ١٩٨٠، عين معيداً بكلية الفنون الجميلة ١٩٦٦، أستاذ ورئيس قسم الجرافيك . جامعة حلوان من ٨٧ حتى ١٩٩٨، وكيل كلية الفنون الجميلة منذ ١٩٨٩ حتى ١٩٩١، عميد كلية الفنون الجميلة القاهرة ١٩٩٨، نائب رئيس جامعة حلوان لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة ٢٠٠١، نائب رئيس جامعة حلوان لشئون التعليم والطلاب ٢٠٠٢، عضو اللجنة العليا لملتقى الأقصر الدولي الثاني للتصوير ٢٠٠٩، عضو نقابة الفنانين التشكيليين، عضو بالعديد من الجمعيات الفنية.

المعارض الخاصة :

- أقام (٦) معارض خاصة بإيطاليا منذ عام ١٩٧٦ حتى ١٩٨٠.
- معرض بقاعة كلية الفنون الجميلة ١٩٨٢.
- معرض بقصر ثقافة بورسعيد ١٩٨٣.
- معرض بقاعة إخناتون بمجمع الفنون بالزمالك ١٩٨٤.
- معرض بقصر ثقافة أسوان ١٩٨٥.
- معرض بقاعة كلية الفنون الجميلة ١٩٨٦.
- معرض بالمركز المصري للتعاون الثقافي الدولي (الدبلوماسيين الأجانب) ١٩٩٩.
- معرض بقاعة (أحمد صبري) بمركز الجزيرة للفنون ٢٠٠٧.

المعارض الجماعية المحلية:

- المعرض العام للفنون التشكيلية منذ ١٩٨٤ حتى الآن.
- المعرض القومي للفنون التشكيلية الدورة (٢٨) ٢٠٠٣.
- معرض فن الجرافيك القومي الدورة الثالثة ٢٠٠٥.
- مهرجان الإبداعات التشكيلية الموجهة للطفل بقصر الفنون ٢٠٠٦.
- معرض (الفن والعطاء) بنادي روتاري العروبة ٢٠٠٧.



- صالون الأتيليه دورته (٥٦) بأتيليه القاهرة ٢٠٠٨.
- معرض المعارض للاقتناء بمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية ٢٠٠٨.
- مهرجان الإبداع التشكيلي الثالث (المعرض العام الدورة الثانية والثلاثون) ٢٠٠٩.
- معرض (الحيوان) بجاليري قرطبة للفنون بالمهندسين ٢٠٠٩.
- معرض (المرأة والفن التشكيلي) بقصر الأمير طاز ٢٠١٠.
- صالون فن الرسم (أسود - أبيض) الدورة الثانية بمركز الجزيرة للفنون يوليو ٢٠١٠.
- مهرجان الإبداع التشكيلي الرابع (المعرض العام الدورة الثالثة والثلاثون) ٢٠١٠.
- معرض فناني نادي الصيد بالقاعة الرئيسية بدار الأوبرا المصرية ٢٠١٠.
- معرض (فن الجرافيك المصري المعاصر) بمركز الجزيرة للفنون بالزمالك إبريل ٢٠١٥.
- المعرض العام للفنون التشكيلية الدورة (٣٨) مايو ٢٠١٦.
- معرض (كتاب الفنان) بمركز محمود مختار الثقافي - متحف محمود مختار ٢٠١٦ (ضيف شرف).
- معرض (فكرة) بقاعتي (نهضة مصر - إيزيس) بمركز محمود مختار الثقافي - متحف محمود مختار ٢٠١٧.
- صالون شجرة الفن الدورة الثالثة بقاعتي (نهضة مصر - إيزيس) بمركز محمود مختار الثقافي ٢٠١٨ (ضيف شرف).
- معرض اليوبيل الفضي لكلية الفنون الجميلة جامعة الأقصر بقاعة العرض الرئيسية بكلية الفنون الجميلة ٢٠٢١.
- معرض (جماليات الحفر والطباعة - الجرافيك) بجاليري (سوليم) بالزمالك ٢٠٢٤.

المعارض الجماعية الدولية / المعارض الخارجية:

- معرض الفن المصري المعاصر بإيطاليا من ١٩٧٦ : ١٩٨٠.
- معرض المبعوثين المصريين بإيطاليا - روما ١٩٧٨.
- معرض الأربعة المصريين (تصوير - حفر) ببيزارو - إيطاليا ١٩٨٠.
- معرض الدارسين المصريين بروما ١٩٨٠.
- بينالي الحفر بكولبورلو إيطاليا ١٩٨٠ - النرويج - اليابان - إنجلترا.
- معرض الأسبوع الثقافي المصري بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة ... ٢٠٠٠.

- معرض الفن المصري المعاصر في مسقط العاصمة الثقافية للعالم العربي ٢٠٠٦.
- البينالي الدولي الرابع للفنون الحديثة بأكاديمية الفنون الحديثة بطقشند - أوزباكستان أكتوبر ٢٠٠٧.
- معرض (أعمال من الجرافيك المصري المعاصر) بقاعة (بوشهري) الكويت ٢٠١٠.
- صالون الجنوب الدولي الرابع بكلية الفنون الجميلة بالأقصر ٢٠١٦ (مكرمون).

المؤلفات و الأنشطة الثقافية:

- له نشاط في الرسوم والكتابة الصحفية منذ ١٩٦٢ (بمؤسسة أخبار اليوم - روزاليوسف - دار الهلال).

الجوائز المحلية:

- جائزة الجرافيك من المعرض العام ١٩٨٣.
- جائزة الدولة التشجيعية في الجرافيك ١٩٨٦.
- نوط الامتياز من الدرجة الأولى من رئيس الجمهورية ١٩٩١.

الجوائز الدولية:

- ميدالية الجرافيك في بينالي بورتاريكاناتي بإيطاليا ١٩٧٨.

مقتنيات خاصة:

- لدى بعض الأفراد في مصر والخارج.

مقتنيات رسمية:

- متحف الفن المصري الحديث.
- جامعة حلوان.
- كلية الفنون الجميلة بالقاهرة.
- كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية.
- كلية الفنون الجميلة بالمنيا.





















































































